مسيحيو البصرة ..عنوان البصرة ونسيجها الأجمل

د. جعفر عبد الخالق المنصور

احتضنت البصرة منذ القدم العديد من الديانات المختلفة منها الديانات المسيحية والصابئة واليهودية اضافة الى المسلمين وكان لكل من هؤلاء أماكنهم العبادية الخاصة التي يمارسون فيها طقوسهم الدينية بكل حرية. وسنسرد في مقالنا هذا أهم الطوائف المسيحية المتواجدة في البصرة وأثرهم في نسيجها الاجتماعي ولنبدأ مع أقدم طائفة مسيحية وهم (الأرمن) الذين بنوا محلة خاصة بهم عرفت بـ (كاسب الأرمن) وسط البصرة وبالتحديد في منطقة العباسية حالياً وإليهم تنسب أول اشارة لوجود المسيح في البصرة والتي يعود بناؤها الى سنة (١١٤٤م) عندما أسس الآباء الأرمنيون كنيسة السيدة العذراء في محلة (السيمر) في البصرة على ضفاف نهر العشار بعد هجرتهم من مدينة (استبكل) الايرانية اليها.

وتعزز الوجود المسيحي في البصرة بعد ذلك بوصول فرقة ثانية هم (الرهبان البرتغاليون) المنسوبون الى جماعة (أوغسطين) الذين قدموا من الهند ابان منتصف القرن السادس عشر. اما الفرقة الثالثة فقد جاءت على هيأة مسافرين وتجار استوطنوا البصرة في فترات تاريخية مختلفة حتى بلغ عدد المسيح في البصرة قرابة (١٥) الف نسمة عند مطلع القرن العشرين .

وقد اعطى دستور المملكة العراقية الصادر عام (١٩٢٥) حرية للأديان واعترف واضح وصريح بالمكونات الدينية للمجتمع العراقي وهذا ما أكده الدليل الرسمي لوزارة الداخلية العراقية الصادر سنة (١٩٣٦) والذي نص على ((ان المسيحيين هم احدى المكونات الرئيسية للمجتمع العراقي)) وهذا ما جاء في بيان الاحصاء السكاني لعامي (١٩٤٧و ١٩٥٧) الذي اعتبر الاديان الرئيسية في العراق هي الاسلام والمسيحية واليهودية اضافة الى ثلاثة عقائد دينية هي الصابئة والأيزيدية والبهائية .

مارس النصارى في البصرة مختلف الاعمال التجارية ولكنهم اشتهروا في بدايات القرن العشرين بمجال التصوير ومن أشهر محالهم محل تصوير (أنترانيك . كرابيت . فينوس. أرام) اضافة الى محل التصوير (ستراك) الذي مازال موجوداً الى يومنا هذا في شارع الوطن قلب مدينة العشار .

ولقد ساد التسامح والتعاون بين أهل البصرة بمختلف طوائفهم وأديانهم خاصة في أوقات الأزمات والأوبئة والحروب اذ كان التكافل الاجتماعي السمة السائدة والبارزة بين مكونات هذه المدينة كونها مدينة أدبية وبناء مفتوح عبر التاريخ فضلا عن ترابط العلاقات الاجتماعية بين سكانها حيث التزاور بين المسيحيين والمسلمين في مختلف المناسبات وخاصة الدينية.

ولوحظ منذ القدم ان بعض النساء المسلمات يذهبن الى الكنيسة لتقديم النذور للسيدة العذراء وحضور بعض المسيحين الى مجالس العزاء في عاشوراء إيمانا منهم برسالة الامام الحسين (ع) الانسانية بل وأبعد من هذا . فقد شهدت السنوات الأخيرة نصب بعض الأخوة المسيحيين لمواكب عزاء حسينية تقوم على توزيع الأطعمة في منطقة (الطويسة) في البصرة .

ومن أشهر الكنائس في منطقة البصرة القديمة والتي لازالت شاخصة الى يومنا هذا هي كنيسة (الأرمن ١٧٣٦ م) وتقع في منطقة (السيف) وخوي على محال منطقة البصرة القديمة وخديدا في محلة (نظران) مقابل احد جوامع المسلمين. وقد بنيت على طراز الشناشيل البصرية سنة (١٩٠٨) وخوي على

رياض للأطفال ومدرسة ابتدائية. وتقوم احيانا بتوزيع المساعدات المالية على العوائل المتعففة

وكذا كنيسة (رازيا ١٧٨٧ م) في محلة (حوش الباشا) في البصرة والتي نقلت فيما بعد الى منطقة (السيمر)عام ١٩٥٨ وهي كنيسة خاصة بالمسيحيين اللاتينيين. وكذا كنيسة (العائلة المقدسة) التي تقع في أحد مغيرة وسرداب كبير فضلا عن قاعات كبيرة وغيرها من المرافق الخدمية .

وتنفرد في منطقة العشار القلب التجاري للبصرة كنيسة تسمى (قلب يسوع ١٩٣٧ م) بعمران فريد من نوعه والتي تعود الى الطائفة السريانية الكاثوليكية وتقع خلف المجمع النسويقي (الاسواق المركزية) حيث أولت هذه الكنيسة اهتماماً خاصا بالمعوقين فشيدت لهم قاعة خاصة في الطابق الأرضي وأعدت لهم زيارات ورحلات ترفيهية كذلك يقوم رجال هذه الكنيسة - بين الفينة والاخرى- بزيارة بيوت الأسر المتعففة من المسلمين وتقديم المعونة والمساعدة لهم: بل ذهبت الكنيسة الى أبعد من ذلك اذ أوجدت عيادة خاصة لفحص ومعالجة المرضى بالمجان. وأمتازت نشاطات الكنيسة في عقد تسعينيات القرن الماضي وخلال سنوات الحصار الاقتصادي على العراق بتوزيع حصة تموينية ثابتة على الأسر البصرية المتعففة .

ومن الأديرة المسيحية المهمة في البصرة دير (راهبات النقدمة) في منطقة المناوي باشا وسط البصرة والتي تقدم خدمات انسانية وتربوية منها رياض وحضانة الاطفال ودار للأيتام ومدرسة ابتدائية ومتوسطة ومشاغل خاصة لتعليم الفتيات البصريات الأعمال والحرف اليدوية .

فسلاما على البصرة التي كانت وما زالت مدينة التسامح الديني والتآخي بين الاديان والطوائف المختلفة عبر التاريخ .